



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN WAHAR
Date : 31.1.92
Photo No. : 198

الولايات المتحدة تقود العالم. ليس في هذا التصريح امر جديد، فهذا ما يعرفه اي شخص في كل ارجاء المعمورة، منذ السنة الماضية على الاقل. انما الجديد ان يصرح بهذه الحقيقة. صحيح ان جورج بوش المح بها سابقا بعد حرب الخليج. لكن الامر يختلف اليوم بعد موت العدو، وهو ما سماه "الشيوعية الامبريالية". كذلك تختلف وقفة بوش نفسه امام الكونغرس، حيث بدا اشبه بالاسكندر بعد فتح فارس او يوليوس قيصر بعد الامساك ببلاد الغال او محمد الثاني في القسطنطينية او نابوليون في المانيا، ولعله تجاوز كل السوابق التاريخية، فهي فرصة لم تتوافر لاي قيصر ولا لاي سلطان في تاريخ البشرية قاطبة.

وعلى افتراض ان يكون احد عظماء التاريخ قد اقع نفسه بكونية سلطته، فيبقى من المؤكد انه لم يكن قادرا على اقناع الجميع او اعلامهم، مثلما فعل جورج بوش عبر شبكة "سي.ان.ان".

وقفة قيصر

بات الكلام عن انتهاء الحرب الباردة الخبز اليومي لكل من يتعاطى الصحافة والسياسة منذ اكثر من سنتين. وقد كتبت آلاف الصفحات في هذا الموضوع في انحاء العالم، واسيما في الولايات المتحدة، وهي اكثر المعنيين بالامر. ولكن لم يحدث، مرة، ان تكلم احد بصراحة الرئيس جورج بوش في نظابه عن "حال الاتحاد" امام الكونغرس قبل يومين.

لقد كانت تلك لحظة الانتصار التاريخي التي عاش اسلافه، وهم يحلمون بالوصول اليها. يقف قيصر ويعلن امام اركان الدولة: كلا، لم تنته الحرب الباردة، انما اميركا ربحتها، فتحولت من زعامة فريق "العالم الحر" الى زعامة العالم باسره.

اذ تشاء وتيرة تطور التقنيات ان تتحقق بقولة ماك لوهان في "القرية الكونية" يوم يصبح لهذه القرية رئيس بلدية واحد، وان لم يكن منتخبا الا من اهل حارته.

ويزيد في حجم الانتصار الاميركي انه يأتي تنويجا لصعود مطرد لـ"الجمهورية الامبراطورية" تعود انطلاقتها الى ما قبل ظهور الشيوعية، وتحديددا الى اواسط القرن الماضي. بذلك، يكون الاميريكيون الشعب الوحيد في العالم الذي لم يعرف في تاريخه الهزيمة. واذا كان البعض قد اخذ يتكلم، منذ

بضع سنوات، عن بداية الانحدار التاريخي للولايات المتحدة، فان وضعية المنتصر التي اتتها من تآكل الاتحاد السوفياتي، من شأنها تجميد احتمالات الهبوط. على العكس، تنفر تلك الفريدة الاميركية، في نظر بعض الحلفاء/ الخصوم، باخطار جديدة، اهمها غياب امكان المحاسبة. وهذا بالفعل ما يحصل منذ سنوات عدة في المجال الثقافي، حيث لا يقدر احد على مقاومة النمط الاميركي.

يبقى ان نظرية الانحدار التاريخي تستند الى حجج لا يمكن الاستهانة بها.

وقد جاء خطاب بوش يثبتها، من حيث لا

يريد، بتركيزه على الآفاق التي يفتحها انتهاء الحرب الباردة امام الاقتصاد الاميركي. فالبرنامج الذي طرحه للنهوض بالاقتصاد خير دليل على المشاكل الداخلية الاميركية، ولاسيما منها المصاعب الحياتية التي تدفع بالكثير من الاميركيين في اتجاه الانعزالية. لكن الانعزالية ليست ابدا النتيجة الحتمية لازدواجية الوضع الاميركي الراهن. وقد اعلن بوش في خطابه رفضه التام هذا الخيار.

اما البديل، فانه لم يعلن عنه، ولا حاجة له ان يفعل. اذ توحى به ممارسته، من حرب الخليج الى مفاوضات موسكو، مروراً بمؤتمر واشنطن حول مساعدة اتحاد الدول المستقلة (الاتحاد السوفياتي سابقاً). ويمكن اختزال هذه الممارسة بشعار نقابي شائع في الغرب: "دعوا الاغنياء يدفعون" مما يعني ان الامبراطورية الاميركية نقلت نمط تعاطيها مع العالم الثالث الى العالم الاول، اي اوربا واليابان، فضلا عن السعودية وهي المترجحة بين عالمين.

هل يدعون؟

سمير قصير